مخالفات الاستعمار وآثارها على الإنسان والبيئة
(الجزائر أنموذجا)

الدكتور: زغيدي محمد لحسن
أستاذ الحركة الوطنية والثورة التحريرية
بجامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد اللّه

ظاهرة الاستعمار:

يحمل هذا المصطلح في مدلوله مفهوم الأعمار والمدنية، لكنه في حقيقته العملية: استدمار، وإذلال، واحتقار، وتخريب وإبادة للبشرية بتطبيق حكم الغالب على المغلوب، وتسخيره لما هو مرغوب ومطلوب ولذلك فإن هذه الظاهرة المشينة والمقيتة، منذ أن عرفتها الإنسانية، وهي تسومها سوء العذاب، وتذوقها مر الحياة طعما وشرابا، من الإبادة والتشريد والتهجير والتفقير.

ومن ثمة جاءت كل الشرائع الدينية والقوانين الوضعية والأعراف الإنسانية تدينها وتدعوا إلى نبذها والعمل على تخليص البشرية من شرها وجورها مما تتركه من آثار وتأثيرات سلبية على الحياة والعلاقات الإنسانية.

والجزائر من الشعوب والدول التي عاشت من مثل ذلك، خاصة وأنها لا سيما وأنها أبليت بأبشع أنواعه، وهو الاستعمار الاستيطاني، الذي يبتلع ويقتلع كل آثار الأصيل ليستبدلها بمشروع الدخيل.

وبذلك عانت الجزائر جغرافية وذاكرة وإنسانا وبيئة، من آثار المستعمر السلبية بصفة مباشرة طيلة 132 سنة، لمدة أربعة أجيال، مست كل تلك الجوانب، عاش فيها الدخيل فسادا وتشويها وتحريفا، نقدم نماذج منها على النحو الآتي:

أولا في الجانب الجغرافي:

لم تحتل فرنسا الجزائر من أجل الانتقام إلى شرفها واستعادة هيبتها جراء حادثة المروحة كما تدعي، وإنما جاءت بمشروع استعماري استيطاني دائم والمتمثل

في إيجاد وطن جديد لفرنسا جديدة بأساليب إقطاعية العصور الوسطى ولتحقيق ذلك واقعيا عملت على جبهتين تواطنية بشرية باستعمال القوة العسكرية.

وتمكين الدخيل من العنصر الأوربي البديل، ليحل محل الأصيل وبذلك فتحت باب الهجرة البشرية للاستيطان والتمكين.

والثانية قانونية بسن التشريعات والمراسيم لتحويل الجزائر أرضا فرنسية جنسية ومشكلا ومضمونها وشرعت في ذلك تجسيدا وعملا 113 سنة أي من 1834 إلى 1947.

وأصدرت قوانين الإلحاق والجزئية. وذلك بجعل الجزائر جزءا لا يتجزأ من فرنسا.

وبعد اندلاع الثورة التحريرية 1954- 1962، ولما شعرت فرنسا الاستعمارية بأن القضية الجزائرية ستنال استقلالها جراء توحد شعبها الذي نال الاعجاب العالمي على ما يقدمه من التضحيات في سبيل نيل حريته، شرعت فرنسا في المساومة الجغرافية، بتقسيم الجزائر إلى شمال وجنوب، وعدم الاعتراف بالوحدة الجغرافية، خاصة لما تبينت لها الأبعاد الاقتصادية والعسكرية والجيو إستراتيجية للصحراء الجزائرية فادعت ملكيتها، مما أطال عمر الثورة وزاد في تقديم التضحيات البشرية من أجل تحقيق الوحدة الجغرافية.

ثانيا في مجال الذاكرة:

عرفت حركة التعليم في الجزائر نهضة ملحوضة من حيث عدد الطلاب والعلماء والمؤسسات عبر عصور ما قبل الاحتلال، فكانت تعد بالآلاف في كل الجهات، فمثلا: مدن العاصمة وقسنطينة وعنابة، كان بها 604 مدرسة ابتدائية لم يبق بعد 1840 إلا 61 مدرسة موزعة على الشكل الآتي: 16 بالعاصمة و 30 بقسنطينة و 15 بعنابة.

أما إذا قمنا بعملية إحصائية فيما يتعلق بالنسب االمئوية للمتمدرسين في سن التعليم الابتدائي بعد 60 سنة من الاحتلال فنجد أنه في سنة 1890 وصلت إلى

1.73% من مجموع الأطفال الجزائريين الذين هم في سن التمدرس. وقد ارتفع بعد عشر سنوات أي في سنة 1900 إلى 4.3% وفي سنتي 1917 و 1918 بعد 18 سنة ارتفع بـ 1.4 % ليصل إلى 5.7% وخلال 12 سنة لم يرتفع إلا بنسبة 0.3% ليصل سنة 1930 إلى 6% في الذكرى المأوية للاحتلال بحيث لم تتح فرصة الدراسة إلا لـ (60644) طفل من مجموع (900.000) طفل جزائري في سن التعليم وهي نتيجة سياسة استعمارية لمدة 100 سنة.

وتبين هذه الاحصائيات إلى أي مدى وصلت سياسة الاستعمار في محاربة التعليم بالنسبة للأصيل في الوقت الذي كان فيه الدخيل يتمتع بكل الحقوق التربوية والتعليمية التي تفوق في الكثير من الأحيان نظائرها في مواطنهم الأصلي بأوربا وفرنسا نفسها.

تبين الاحصائيات المقدمة فيما بين سنتي 1944 و1954 الفوارق البيئة بين المجتمعين الأصيل الذي يشكل 9 أعشار العدد السكاني والدخيل الذي يشكل أقل من عشر العدد السكاني:

ففي سنة 1944 وصل عدد الأطفال الجزائريين في سن التعليم 1.250.000 لم يتـــــح التمدرس إلا لـ (11.000) منهم فقط.

وفي سنة 1954 كان عدد الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 5 سنوات و14 سنة (2.070.000) لم تتح فرصة التعليم إلا لـ (370100) فقط. وتصف كل التقارير أن مدارسهم بدائية وبالية.

وتشير إحصائيات سنة 1945 أن عدد المتمدرسين من المجتمعين من الحضانة إلى التعليم العالي وصل إلى:

أ- صنف الأصيل أي 9/10 السكان: عدد المتمدرسين (85201)

ب- صنف الدخيل أي 1/ 10 السكان: عدد المتمدرسين (241206)

وتبين تقارير سنة 1955 أي بعد 10 سنوات أن عدد الطلبة لمستويين الثانوي والجامعي من:

أ- صنف الأصيل بلغ (3734) طالبا

ب- صنف الدخيل بلغ (20658) طالبا

مما تقدم تتبين سياسة الاستعمار في مجال الذاكرة حيث تميزت بـ:

1- ربط الجزائر بفرنسا حاضرا ومستقبلا لتجسيد مبدأ الجزائر الفرنسية

2- محاربة التعليم ونشر الأمية

3- إبقاء المجتمع الأصيل على الهامش الحضاري للمجتمع الدخيل

4- محاربة الدين بالمس برموزه وأماكن العبادة والأمثلة في هذا المجال كثيرة ومتعددة ومنها ما ورد عن المسؤولين الفرنسيين قول أحدهم في سنة 1832:« أن أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا، فلا يمكننا أن نشك على أي حال بأنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد. » [1]

5- محاربة اللغة العربية بجميع الأشكال والتضييق عليها بغلق منافذها، وتعددت القرارات والمراسيم المتعلقة بها خلال أكثر من قرن فمثلا فيما بين 1882 و1908 صدر 12 مرسوما خاصا بها [2] كان آخرها قرار وزير الداخلية (شودان chaudain) عام 1938 والذي ينص على " أن اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، لا يجوز تعليمها... إلا بترخيص خاص ". [3]

6- محاولة تشويه تاريخ الجزائر في جميع العصور والتركيز على رومانيته في القديم وفرنسيته في الحاضر.

ثالثا: في مجال الإنسان:

عانى الشعب الجزائري خلال 132 سنة من الاستعمار الفرنسي حربا تدميرية وإبادية ضد الإنسان مست كل جوانبه الحياتية، كفرد ومجتمع واقتصاد.

[1]- تركي رابح: التعليم القوي والشخصية الوطني، ص90.

[2]- عبد القادر حلوش : سياسة فرنسا التعليمية بالجزائر ص، ص 196- 199، 143- 144

[3]- أحمد محساس: الحركة الوطنية الثورية في الجزائر ص 408

أ/ فمن ناحية حياته كفرد وإنسان يدافع حريته واستقلاله، وعدم اظهار الخضوع والاستسلام تحالفت عليه القوى الاستعمارية قيادة وأفرادا من أجل إبادته وإخضاعه، ونورد بإيجاز بعض الشواهد في هذا المجال:

في بداية الاحتلال كانت من بين الأوامر والتوصيات لقادة الجيوش، ما جاء في قول: جرار وزير الحرب الفرنسية: " لا بد من إبادة جميع السكان العرب، إن المجازر والحرائق وتخريب الفلاحة هي في تقديري الوسائل الوحيدة لتركيز هيمنتنا."

وفي هذا الإطار يقول الجنرال سانت آرنوني عام 1842: "إننا لا نطلق النار إلا قليلا، لأننا نحرق الدواوير وجميع القرى وجميع الملاحئ لقد خلفت في طريقي حريقا مهولا لجميع القرى لحوالي 200 قرية قد أحرقت بكاملها."

وجاء في كتاب الكولونيل دومونتانياك (رسائل جندي): " إننا ربطنا في وسط البلاد وهمنا الوحيد هو الاحراق والقتل والتدمير والتخريب حتى تركنا البلاد قاعا صفصفا... هكذا يا صديقي تكون معاملة العرب في الحرب قتل جميع الذكور الذين جاوزوا الـ 15 سنة وسبي جميع النساء وخطف جميع الأطفال... يجب إبادة كل من لا يتمرغ تحت أرجلنا ."

كما عاش الإنسان الجزائري نار المحارق، التي حولت العديد من القبائل إلى رماد وما زالت آثارها بادية إلى يومنا هذا كان أبطالها عسكريين بإسم فرنسا نذكر من بينهم:- بيجو- وكافينياك- وبيلبسي وسانت آرنو

ومن بين تلك القبائل:

1. قبيلة سبيح أحرقت في أفريل 1844 من قبل كافينياك
2. قبيلة أولاد رباح، ثم حرقها بمغادرة غار لفراشيح في 19 جوان 1845 بأمر من الوالي العام بيجو والدوق دبسلي
3. قبيلة العوفية أبيدت عن آخرها

ويقول سانت آرنو في رسالة كتبها في 2 نوفمبر 1942: " كانت النيران تشتعل فوق الجبال وكنت أشاهد أولوف الجثث المتراصة على بعضها وهي تلقى في النار."

وجاء في رسالة أخرى كتبها هذا الأخير إلى أخيه في شهر ماي 1941: " يجب أن لا ينبت النبات حيث وضع الجيش الفرنسي قدمه"

ومن جهتة كتب الكولونيل مونتانياك في رسالته في ماي 1843: " نحن نازلون في وسط القطر نحرف ونخرب ونحطم"

أما توكفيل وهو قائد عسكري أيضا فقد جاء في خطته فيما كتب:" تدمير كل ما يشبه تجمعا سكانيا مستقرا، أو بتعبير آخر ما يشببه المدينة، أظنه أنه من الأهمية البالغة الانترك مدينة واحدة على الأرض تشيد على أراضي عبد القادر."

وجاء في كتاب: الاستعمار والزراعة في الجزائر المنشور سنة 1845 لصاحبه (مول MDLL) أستاذ بمعهد الفنون وعضو المجمع الملكي: " كل جنس غير كفء للحضارة يجب أن يندثر بالضرورة كما اختفت حيوانات ما قبل الطوفان."

لم تقتصر حرب الإبادة ضد الانسان في القرن 19، والتي قدمنا نماذج منها، وإنما استمرت في القرن العشرين، في فترة الحركة الوطنية السلمية، فلما خرج الجزائريون يحتفلون مع العالم بعيد النصر على النازية يوم 8 ماي 1945، ورفعوا علمهم تعبيرا على تمسكهم بشخصيتهم وتعلقهم بالحرية التي هي مطلبهم، جابهتم النازية الاستعمارية الفرنسية بآلات القتل، التي حصدت منهم أكثر من 45 ألف شهيد متظاهر وشهدت الأيام ما بعدها، محارق للبشر، وقتل بكل الأشكال المنافية للأخلاق والحقوق الإنسانية.

جاءت تلك المجازر في الوقت الذي دخل العالم فيه إلى مرحلة السلم ووعد البشرية بأن تحياه في كل أرجاء المعمورة، كما سبقه مؤتمر سان فرنسيسكو، الذي دعا إلى حق الشعوب في تقرير مصيرها وتأسيس هيئة دولية لرعايته.

وعلى الرغم أن فرنسا من مؤسسي هيئة الأمم المتحدة ومن موقعي ميثاقها سنة 1945، إلا أنها خالفت ما جاء في دباجية ومواده حيث خرقت في معاملاتها

مع الجزائر والجزائريين، 22 مادة من الـ 111 مادة المؤسسة لميثاق الأمم المتحدة [4] نذكرها على الشكل الآتي:

المادة	الفقرة ذات الصلة بالواقع الجزائري
م1	ف1 و2 و3
م2	ف4 و6
م6	
م11	ف2 و3
م14	
م32	ف1 و2
م33	
م34	ف1 و2 و3
م35	ف1 و2 و3
م36	ف1 و2
م37	
م38	
م39	
م40	
م48	ف1
م51	
م54	
م55	
م62	ف ج
م73	ف 2
م74	
م76	ف1، ب، ج، د، هـ
	ف أ، ب، ج، د [5]

[4]- يتشكل ميثاق الأمم المتحدة المعلن عنه في 1945، والمتشكل من 111 و6 فقرات

[5]- ميثاق الأمم المتحدة سنة 1945.

وخلال الثورة التحريرة 1954 – 1962 شهد الإنسان الجزائري المكافح من أجل الحرية، أنواعا متعددة من أشكال الموت، والتعذيب والسجن والاعتقال والتشريد، حيث لا يخلوا أي تجمع سكاني في جميع أنحاء الجزائر، مدني أو ريفي من سجن أو معتقل، أو محتشد.

ومن نماذج القتل الجماعي ما شهدته منطقة الشمال القسنطيني أيام 21 أوت وما بعدها من إعدامات جراء هجومات 20 أوت 1955، حيث وصلت إلى أكثر من 14 ألف شهيد.

ثم جاء حصار الشعب أبان العمليات الكبرى المعروفة ببرنامج شال الذي انطلق في فبراير 1959 ليدوم عاما كاملا. وسبقته عمليات جمع السكان نساء وأطفالا وشيوخا في محتشدات شملت معظم سكان الريف الجزائري استمرت عمليات الحشد من سبتمبر 1958 إلى ديسمبر 1960 ليبلغ عدد الجزائريين المحتشدين في مراكز تشبه أوكار الموت (مليون وست مائة ألف) ليبلغ عدد المحتشدات (3426) مركزا منها (1200) سماها المستعمرين القرى الجديدة. [6]

وقد كتب عنها (الاسقف لاجاك بومون في كراسة) في 14 و15 أكتوبر 1959 " رأيت أطفالا تتميز عظامهم تحت البشرة بوضوح، إنهم أطفال أنهكتهم الحمى والبرد... أكلتهم الأمراض المختلفة دون أن يجدوا قرصا من (الكنين) لا يقاف الحمى . رأيتهم يرتجفون من الحمى وهم راقدون على الأرض بدون غطاء ... غطاءواحد لثلاثة عشر شخصا يتغطون به جميعا في خيمة واحدة" [7]

كتبت جريدة فرانس سواء عن مراكز التجمع (أما الآن فهم في بؤس قاتل بالمعنى الحقيقي للكلمة إن كثيرا منهم يموتون في الغالب، وخاصة الأطفال، فالأطفال الذين ولدوا خلال العامين السابقين هنا كان يموت منهم واحد كل اثنين قبل أن يبلغ العام". [8]

[6]- الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية: ولايات الكفاح- (وثيقة) ص 38.
[7]- المجاهد: 1 جوان 1959، ص 7
[8] - France soir : 15 avril 1960.

ب- في مجال حياته الاقتصادية والاجتماعية:

تعددت الآثار السلبية التي ميزت الاستعمار الفرنسي طيلة فترة احتلاله الاستيطاني للجزائر والتي دامت 132 في كونها مست كل مظاهر حياته اليومية في جميع مظاهرها، والتي منها المجالات الاقتصادية والاجتماعية نوجز بعضها فيما يأتي:

لقد تعرض الشعب الجزائري مند احتلاله من طرف القوات الفرنسية، إلى سياسات تدميرية هدمت كل مظاهره الحياتية المميزة، وتعرض خلالها إلى الثالوث الرهيب: (الفقر والجهل والمرض) إضافة إلى المظهر العسكري المتمثل في النهب والقرار السياسي في الترحيل والتهجير والنفي.

فظهر نتيجة ذلك مجتمعان:

1- مجتمع أصيل محروم من كل شيء

2- مجتمع دخيل له كل شيء

فمثلا في الجانب الفلاحي، بحكم أن المجتمع الجزائري فلاحي في معظمه، وأن الفلاحة هي عصب الحياة، فقد ركز الاستعمار سياسته الاقتصادية الاقطاعية في شكلها القديم عليها بالدرجة الأساس، بل حول الجزائر إلى مخزون اقتصادي فلاحي فاستحوذ بذلك على معظم الأراضي الخصبة، بحيث اصبح عشر (10/ 1) السكان الذين يمثلون عنصر الدخيل يسيطرون على (2.320.000) هكتار جراء سياسات التأميم والتجهير والترحيل، ولم يسلم حتى قطاع الحبوس المقدس. بينما يمتلك التسعة أعشار (10/9) من السكان الذين يمثلون المجتمع الأصيل (5.300.000) هكتار.

أما بالنسبة للصناعة، فقد حول المستعمر الجزائر إلى مصدر لإنتاج الخام الموجه إلى الصناعة بفرنسا، والشيء نفسه بالنسبة للزراعة التي صخرها لحاجيات السوق الأوربية وإنتاج المادة الخام للصناعة الزراعية الأوربية، دون مراعاة السوق الداخلية وحاجيات المجتمع الجزائري الأصيل وهو ما أثر على حالة المجتمع.

الحياة الاجتماعية:

أثرت تلك السياسات المطبقة على الحياة الاجتماعية للمجتمع الأصيل الذي كان يعيش على هامش المجتمع الدخيل، وجعلته يتأثر بكل الأزمات الاقتصادية الناجمة عن الحروب العالمية وغيرها ومنها الأزمة الاقتصادية العالمية سنة 1929 بشكل مباشر على الإنسان الجزائري.

أدت تلك الوضعية إلى انتشار وتفشي الأمراض والأوبئة، خاصة الملاريا والسل، الناجمة عن الفقر والبيئة المحيطة بالظروف السكنية المتميزة بالبيوت القصديرية والأكواخ، المحيطة بالمدن الناجمة عن الهجرة الريفية.

وقد أشارت بعض التقارير لسنة 1942: "بأن مستوى المعيشة للجزائريين يعتبر أحط مستوى في العالم كله.

رابعا: في مجال البيئة:

- اعتنى المستعمرون "الكولون" بالبيئة المحيطة بهم بالجزائر، من خلال نقل النمط المعيشي الأوربي في أرقى أوجهه الحياتية، ليجعلوا من المستوطنة البديلة منافسة للبيئة الأصلية وهي الجزائر الفرنسية التي يزعمون إقامتها الأبدية.

وفي الوقت نفسه دفعوا الجزائري الأصيل، للهجرة والعيش على هامش المجتمع الدخيل في بيئته مهملة، ناجمة عن عدم تمكنه من الاعتناء بها وبمحيط حياته كإنسان يستحق العيش في جو يليق به.

إن سياسة إهمال الأصيل وتسخيره لخدمة الدخيل وإجباره على العيش الأدنى لابراز مظاهر السيطرة والتفوق فيما بين الأجيال والتباين البيئي في مجال تربية الناشئة على حضارتين الأولى متطورة ومتفتحة على الحياة، والأخرى متخلفة ومنغلقة وباعثة اليأس، وقد استمرت تلك الحالة لأكثر من 124 سنة أي من 1830 إلى 1954.

ولم يكتف بذلك بل عمد المستعمر إلى تدمير كل ما تم بناؤه، حتى البيئة التي أقاموها هم لأنفسهم، وذلك لما شعروا بأن ثورة أول نوفمبر التحريرية ستؤدي إلى

تحطيم وإنهاء حلم إقامة الجزائر الفرنسية، والحصول على الاستقلال وبناء الدولة الوطنية التي ينعم فيها الأصيل.

وقد استعمل المستعمر كل وسائل التدمير العصرية من القصف بالسلاح الجوي بقنابل الغازات المختلفة الحارقة منها والسامة خاصة النابالم التي شوهت الإنسان والبيئة معا حيث أحرقت الغابات، والمناطق الجبلية ودمرت السهول والمناطق الساحلية، وأصبح الريف الجزائري في صورة مدمرة، بل وشمل ذلك حتى محيط المدن الكبرى، بدعوى، الحرب على معاقل الثوار.

ولم يتوقف عند ذلك بل حول البيئة من مجال للحياة إلى حقول للموت ومسبباتها من الإعاقات والأمراض والعجز الدائم، مثل الألغام والإشعاعات النووية في المناطق الحدودية والصحراوية والتي نوجزها فيما يأتي:

أ- الألغام:

يعرف اللغم في المصطلح العسكري: بالعدو الذي لا ينام، ويبقى ثابت في مكانه لعدة أعوام، لا يؤثر فيه المناخ ولا عوامل الاحوال الجوية . وقد استعملت حواجز الموت المشوهة للطبيعة والبيئة منذ عصور قديمة وفي أشكال مختلفة كعوائق وحواجز مانعة وقاتلة.

ومع مطلع القرن العشرين عرف الفرنسيون هذا النوع من السلاح المدمر للبيئة والإنسان، لحماية فرنسا من خطر الهجوم الألماني والذي عرف بخط ماجينو: وهو الذي اتخذ قرار انشائه في 4 جانفي 1930.

ولما واجه فرنسا نفس الخطر من الثورة الجزائرية، ونظرا لما تمثله قواعدها الخلفية عبر الحدود الغربية والشرقية للجناحين المغرب وتونس، خاصة بعد نيل هاتين الدولتين: استقلالهما في مارس 1956، قررت السلطات الاستعمارية الفرنسية غلق الحدود الجزائرية على الجهتين بخط أقوى من خط ماجينو سمي بخط موريس نسبة إلى وزير الدفاع " أندري موريس" شرع في بنائه في نهاية أوت 1956.

وهو خط يمتد على طول الحدود فمن الناحية الشرقية بطول يقدر بـ 460 كلم من عنابة شمالا إلى نقرين جنوبا.

ومن الناحية الغربية بطول يقدر بـ 750 كلم من تلمسان شمالا إلى بشار جنوبا

ويتكون الخط من الجهتين من أسلاك شائكة في شكل شبكة بعرض يتراوح ما بين 30 إلى 60 متر وبخطوط مكهربة بقوة تتراوح ما بين 5 إلى 10 آلاف فولت. وألغام زرعت بأشكال هندسية مختلفة بأعداد تقدر بملايين على الحدوديين.

ثم أصيف إليه خط آخر أقوى وأمتن ومستفيد من الأخطاء الهندسية والثغرات الفنية التي وقعت في الخط الأول: سمي بخط شال نسبة إلى قائد القوات الفرنسية العاملة في الجزائر.

ويتكون من نفس خصائص الأول لكنه أكثر منه متانة وعرضا وتجهيزا، بحيث تم بناؤه.

- وقدرت الألغام المزروعة على الخطين" بـ (12 مليون) لغم

- أما فيما يسمى بالمحيطات الأمنية التي تشكل حزاما أمنيا على الثكنات والمقرات العسكرية في الداخل فقدرت الألغام المزروعة بها بـ (3 ملايين) لغم.

وهكذا تركت فرنسا غداة خروجها من الجزائر ما مقداره (15 مليون) لغم، مما شكل وما زال يشكل خطرا مميتا على البيئة الطبيعة والإنسان.

بحيث بلغ عدد الشهداء إبان الثورة منذ الانتهاء من الخط الأول في سنة 1957 إلى الخط الثاني سنة 1959 بالآلاف نتيجة الألغام والأسلاك المكهربة، ولم يسلم كل ما يحيط بالبيئة من كائنات حية، بعد الإنسان. وهناك الصور والآثار التي تظهر بقايا حيوانات لم تسلم هي الأخرى من خط الموت.

وبعد الاستقلال: تكفلت الدولة الوطنية، بنزع مخلفات الموت التي تركتها فرنسا الاستعمارية بالجزائر، من دون خرائط أو دلائل على أماكن تواجدها، بل لتجعل منها استمرارية لحربها ضد الإنسان والبيئة بالجزائر.

والتزاما منها بتطهير البيئة وسلامة الإنسان، نص الدستور الجزائري الأول في مادته الـ (10) سنة 1963 على إزالة كل مظاهر الاستعمار القاتلة، وأسندت العملية إلى الجيش الوطني الشعبي الذي قام بإنجازها على مراحل، ويواصل عمله التطهيري إلى اليوم أي لمدة 49 سنة تمكن من تطهير حوالي (9) مليون لغم على الحدود، وإعادة إحياء مناطقها الخصبة وتسليمها كبيئة نظيفة باعثة للحياة إلى السلطات المدنية المحلية.

أما بالنسبة للضحايا الذين سقطوا خلال الـ 52 سنة من الاستقلال جراء الألغام من مخلفات الاستعمار الفرنسي، فقد بلغ عددهم حسب إحصاء وزارة المجاهدين: بـ 3829.

ب- المسار التاريخي للقنبلة الذرية

- بدأ المشروع الأمريكي المعروف بمشروع منهاتن في 1939
- في أواسط سنة 1945 أصبح لأمريكا 3 قنابل نووية
- في 14 جويلية قامت بأول تفجير (بنيوومكسيكو)
- في 6 أوت 1945 ألقيت أول قنبلة على هيروشيما اليابانية
- في 9 أوت 1945 ألقيت أخرى على ناغازاكي

التسابق النووي / الحرب الباردة

- في 6 نوفمبر 1947 أعلن الاتحاد السوفييتي أنه توصل لصنع القنبلة
- في 29 أوت 1949 فجر السوفيات أول قنبلة
- في 1 نوفمبر 1952 فجرت أمريكا أول قنبلة هيدروجينية، باحدى جزر المحيط

الهادي

- في 22 نوفمبر 1955 فجر الاتحاد السوفييتي أول قنبلة هيدروجينية
- في 3 أكتوبر 1957 فجرت بريطانيا قنبلتها النووية

المسار التاريخي النووي لفرنسا

– كانت فكرة ندية أمريكا تسيطر على فكر ديغول. بعد تفجيراتها سنة 1945

في 8 اكتوبر 1945 أنشأت فرنسا "محافظة الطاقة النووية"

اشتغلت حسب المراحل الآتية لصنع القنبلة:

المرحلة الاولى 1945–1951 مرحلة الدراسات العلمية والتقنية

المرحلة الثانية 1952: توصلت إلى إمكانية صنع القنبلة. ودخلت وزارة الدفاع كطرف. وقد تمكنت من صنع مفاعلات نووية في السنوات الآتية:

– مفاعل (زوي) 1948

– EL 2 في 1952– و G1 في جانفي 1956 ←——— وG2 في جويلية 1958 وفي G3 في جوان 1959.

العمل من أجل التفجير:

– بدأ دي غول في تجسيد حلمه بإسكات معاضيه من منافسيه خاصة أمريكا بعد عودته لحكم فرنسا في 1958.

– استغل زيارة ايزنهاور إلى فرنسا في نهاية سنة 1959

– ديغول– "يكفي أن تقتل عدو كمرة واحدة وأن كان له ما يستطيع قتلك 10 مرات".

الاهتمام بالصحراء الجزائرية

لتفجير القنبلة (سطحيا) لا بد من المساحة الكبرى الكافية.

أهمية الصحراء: في الموقع والمساحة. 2 مليون كلم^2 (يمكنها من عامل السرية في التفجير

– وجدت فيها المجال الحيوي لتطوير صناعتها العسكرية.

– وضعت برامج لقواعد عسكرية قصد حماية ظهر أوربا الغربية من ناحية الجنوب واختارت لذلك منطقة (كولومب بشار)

لبناء القنبلة:

- بدأت عمليات الاستطلاع بمنطقة رقان 700 كلم جنوب بشار.
- أعطيت الأوامر للفرقة 3 للجيش للاستقرار بها. لتحضير قاعدة الانفجار.
- استقر بها (6500 فرنسي) (علماء وتقنيون وجنود)
- و(3500 جزائري) عمال بسطاء ومعتقلين.
- تم بناء مدينة في شكل قاعدة تحوي مطارا ومصالح إدارية وتقنية.

قرار التفجير:

حدد التاريخ سنة 1957 على أن يكون في الثلاثي الأول لسنة 1960.

في انتظار توفير كل الشروط.

- ذلك لأنه في سنة 1957 تم التفجير البريطاني. حتى لا يكون التنافس أوربي- أوربي.

وبعد وصول دي غول للحكم سنة 1958.

- شرع في البحث على انتصار عسكري
- بدأ البحث على انتصار صناعي نووي- فرجع إلى مشروعه القديم.
- تقرر في 22 جويلية 1958 أن يكون في بداية 1960.
- **في بداية فبراير 1960:** أصبح كل شيء جاهزا في انتظار الأرصاد الجوي.

في 12 فبراير اتخذ القرار النهائي ليكون الموعد يوم السبت 13 فبراير في الساعة 7 و4 دقائق صباحا بعد التفجير أخذ الشريط إلى دي غول.

في نفس اليوم عقد (ميسمير وزير الدفاع) ندوة صحفية حضرها 300 صحفي شرح فيها مراحل التصنيع النووي.

كيفية التفجير

- اهتزت الأرض وحست بها كل النواحي بالمنطقة
- كل الشهود تتكلم على المشهد الرهيب

التفجير الأول اليربوع الأزرق

ردود الفعل من كل العالم – خاصة الثورة الجزائرية. G.P.R.A.

وشكلت الأمم المتحدة لجنة دولية في 16 فبراير 1960 تتشكل من 26 دولة:

ترأس اللجنة السيد عبد الرحمان عادل من السودان. لدراسة كيفية استدعاء مجلس الأمم. ولعقد دورة استثنائية.

أهداف دي غول من التفجير:

- تحقيق حلم فرنسا بالدخول إلى النادي النووي.
- كسب عطف الرأي العام الفرنسي بانتصار صناعي.
- فك عقدة الهزيمة الميدانية للجيش الفرنسي.
- تغير معايير القوة في العالم بما يملك من أسلحة نووية
- الظهور بالمظهر القوي قبل ندوة الأقطاب سنة 1960. ليكون دي غول مع كبار العالم.
- تهديد الحركات التحريرية بما فيها الجزائر.

تأثيرات التفجير الذري:

لا يوجد من لا يعرف مدى تأثير التفجير الذري على الإنسان والكائنات الحية الأخرى وعلى البيئة والمحيط الحياتي بصفة عامة، فهي قاتلة وماحية لكل آثار الحياة ودلائلها، وقبل الحديث عن كل هؤلاء لا بد من الإشارة إلى التجارب التي أجراها الفرنسيون على الكائنات والمصنوعات في لحظة التفجير حتى يعرفوا مدى تأثير الإشعاع الذري فيها وعليها وهي خالية من كل مشاعر الإنسانية والروح الحضارية التي كانت تعرف بها فرنسا عبر تاريخها الحديث إلا أنه يجب أن يعرف الدارس بأن لفرنسا وجهين، وجه لباريس يلمع صمعتها وينصع بريقها الإنساني والديمقراطي والقانوني الممجد لشعار ثورتها. (الإخاء، والمساواة، والعدالة.)، وهو ما كانت تحاول دائما تظهره كجزء من ثقافتها لشعوب العالم لتكسب ودها

واحترامها بل وفتحت أبوابها لاحتضان أحرار العالم والدفاع عن قضايا هم لا سيما أولئك من لهم عداوة مع منافسيها وأعدائها التقليديين.

أما وجهها الثاني الاستعماري العدواني المجرد من كل أدبية وإنسانية والمنافي لكل المبادئ الأخلاقية، والتي لا نرى منه إلا الوحشية والبربرية في التعامل مع الشعوب المحتلة بالقورة كما هو الحال مع الشعب الجزائري، الذي لم ير طيلة فترة الاحتلال من 1830 إلى تفجير القنبلة الذرية فوق أرضه واستعمال أبناء الشعب كفئران تجارب كما سيأتي الحديث عنه، إلا الإبادة الجماعية والتجريد من الملكية وتشويه الهوية، ومحو الشخصية ومحاربة اللغة والدين والثقافة، والتهجير والتشريد والتجهيل والتفقير، والإذلال والتحقير، والتعذيب والقهر وغلق كل منافذ الحياة والإحساس بالوجود.

وهذا الوجه لا تراه منها إلا في الجزائر ومثيلاتها من البلدان التي منيت باحتلالها ووطن فيها فلول مشردون جلبوا من مختلف البلدان لتنجح بهم سياسة الاستيطان.

وتجسيدا لتلك السياسية التي أصبحت بالنسبة لهم عقيدة وثقافة، وحتى يعرفوا مدى تأثير الاشعاعات الذرية على العتاد والأجهزة العسكرية بمختلف أنواعها والإفراد البشرية فقد وضعوا لنجاح التجربة العتاد الآتي:

1. **الآلات العسكرية:**

- دبابات- وأجزاء من السفن البحرية- وأسلحة من انواع أخرى برية وجوية- على مسافات متفاوتة من نقطة الصفر، لمعرفة مدى تأثرها من حرارة التفجير. كما وضعت معها نماذج من المعادن المختلفة لمعرفة التغيرات التي تطرأ عليها.

2. **الكائنات الحية:**

وضعوا نماذج كذلك من المواد الغذائية والمياه والنباتات المختلفة.

واستعملوا كائنات حية كفئران تجارب سلبوها من أهل المنطقة أي رقان وما جاورها حيث جيء بمختلف أنواع الحيوانات: الجمال- الدواب- الماعز- الكلاب- الأرانب- القطط و(600 فأر مخبر) وبعض الزواحف - والحشرات – والطيور والأغذية الجاهزة.

3. البشر:

- أقيمت ملاجئ خاصة بالأشخاص

- قام العقيد بيكاردا (Col Picarda) بجلب (200 مجاهد) أسير من سجن (معسكر بوســـي) (Le camp Bousset) (تلاغ حاليا) وتعريضهم للإشعاع عن قرب كفئران تجارب بشرية. [9] وهو ما يتعارض وقوانين الحروب المتعلقة بمعاملة الأسير، ولا حتى الأخلاق تقر بذلك.

- كما تعرض مواطنو رقان عمدا للاشعاع الذري حيث يذكر الشهود أن العسكريين قاموا بإحصاء المباني والسكان وأمروهم يوم التفجير بالخروج من ديارهم والاحتماء بغطاء فقط. وتم توزيع قلادات على الأهالي وألزموهم بوضعها في رقابهم لغرض قياس شدة الاشعاعات التي يتعرضون لها. [10]

هذا الاجراء الذي قامت به السلطات الفرنسية العسكرية بالمنطقة في حق سكانها يعد اختراقا للحقوق الإنسانية وذلك بوضع الاهالي كجزء من المجموعة المعدة لتجرى عليها تجارب القياسات الاشعاعية، رغم انهم يعرفون خطورتها على الإنسان بصفة خاصة والأضرار التي تسببها له، لا سيما وأن فرنسا تعد دولة انتاج نووي بحكم مخابرها ومفاعلاتها النووية، وكذلك الدراسات نتيجة البحوث التي أجرتها منذ تأسيس وكالتها النووية سنة 1945.

ولذلك فإن انتفاضة الشعوب ضدها لا سيما الافريقية لخرقها القوانين والأعراف الدولية، لأن فرنسا دولة تدعي العدالة وحقوق لإنسان بوصفها مؤسسة وموقعة للبيان العالمي لحقوق الإنسان. ونقدم في هذه الدراسة مدى تأثير

[9]- المركز الوطني للدراسات: المرجع السابق، ص 25، 45.
[10]- المرجع نفسه، ص 25.

الاشعاعات النووية التي تنجم عن التفجير الذري على الإنسان والبيئة والأضرار التي تسببها ومدى خطورتها على الحياة ومحيطها وكلها تعرف فرنسا نتائجها وفعالياتها على الإنسان والمحيط.

- آثار الاشعاع على الإنسان:

تأتي تأثيرها على الإنسان والكائنات الحية نتيجة قدرة الأشعة على إحداث أضرار جسيمة تمس البينات التركيبة للمادة الحية تاركة آثارا مدمرة مباشرة وبعيدة المدى على الصحة والوظائف الفيزيولجية والأيضية للجسم الحي.

- ويؤثر الاشعاع على الجينات الوراثية مما يسبب تغيرا في تركيبها وبالتالي حدوث تشوهات في الاجنة خلقية في الأرحام. [11]

- منطقة رقان بالصحراء الجزائرية الغربية والتي كانت ساحة تجارب ذرية والتي تم بها التفجير. عانت نتيجة ذلك مما يأتي:

- عم منطقة رقان هواء ملوث بالإشعاعات
- ظهرت بعد فترة وجيزة أمراض كانت نادرة الوجود
- انتشر مرض السرطان في الأهالي انتشارا فتاكا، خاصة سرطان الجلد
- انتشر مرض العيون، وظهرت حالات العمى (كما سيأتي الكلام عنه)
- سجلت حالات عديدة من الإجهاض
- انتشر النزيف الدموي في وسط النساء
- ونفس الحالات ظهرت لدى الحيوانات
- كثرت حالات الوفيات المتكررة للأطفال عند الولادة
- ظهرت حالات التشوهات الخلفية للمواليد، مثل حالة مولود عين واحدة في جبينه وأصابع قصيرة جدا.
- وأصبحت بعد التفجير حالة العقم شائعة.
- ظاهرة تساقط الشعر. [12]

[11]- نفسه، ص 90، 91

[12]ففففقـف المرجع نفسه، ص 28.

آثاره على العيون:

يؤدي ضوء التفجير إلى ما يسمى بالعمى الوهجي، وهو فقدان البصر لزمن مؤقت بسبب قوة الوهج الخارقة فينتج الضوء المتبعثر، حيث يمكن أن يصيب الأفراد على مسافة 30 كلم في النهار ويصل في الليل إلى 100 كلم. إذا كان التفجير سطحي كما هو الحال في تفجيرات رڤان الأربعة.

وفي هذا يقول واحد ممن حضروا التفجير من الجنود الفرنسيين وإسمه (رولان فاي):

" حتى بإدارة الظهر للانفجار (كما هو في حالة سكان رڤان) تمكنت من رؤية الضوء كأنني أرى كلما بداخل جسمي مثلما نرى أنفسنا في المرآة، وكأننا في حوض ماء إنه حقا شيء مذهل."

آثاره على الحالة النفسية:

إن تلك الآثار التي رأيناها على الحالة الصحية للإنسان ولكل كائن حي جراء التفجير الذري، وما يصحبها من أخبار لا سيما ما يتعلق منها بالتنديد وإظهار المخاطر والأضرار الناجمة عنه، عبر وسائل الإعلام، وما يعيشه الإنسان نفسه لحظة التفجير، من هول وزلزال وتغير في الطبيعة في تلك اللحظات، يبعث في النفس الرهبة ويوجس فيها الخيفة وكأن القيامة تقوم لا شك أن له آثاره النفسية التي ستلازم الإنسان.

فالحالة الصحية العامة للسكان المقيمين في المناطق التي تعرضت للتفجير والإشعاع كما هو الحال في منطقتي رڤان واين ايكر بتمنراست في وسط الجنوب الجزائري، فإن اهالي تلك المناطق يعيشون حالة إضطراب نفسي منذ لحظة التفجير، تلازمهم مدى حياتهم، وكذلك من يأتي بعدهم أي الأبناء والأحفاد، يعيشون حالة: القلق، والانهيار العصبي، والاضطرابات النفسية.[13] التي استمرت بين الأجيال خوفا من انتقالها إليهم بحكم الوراثة.

[13]- المرجع نفسه، ص 101.

آثارها على البيئة:

إن الاشعاعات الذرية هي عبارة عن جزئيات صغيرة من الغبار تسقط على سطح الأرض، ولا يمكن الإحساس به فلا لون له ولا رائحة، وطعم، فلا يتعرف عليه إلا بعد ظهور أعراضه.

وتلك الجزئيات تنقل إلى مسافات بعيدة، حيث لا تتمركز في مكان واحد، بل تصيب أماكن عديدة فتتساقط على كل ما يكون في طريقها من: حقول- ومساكن- وأنهار- وغابات- ومزارع- وطرقات- ومنشئات... وغيرها مما فوق الأرض.

ويبدأ تساقط تلك الجزئيات عند الدقائق الأولى للتفجير، ويستمر لمدة 24 ساعة مما يؤدي إلى تلوث آلاف الكيلومترات المربعة.

وقد لا حظ ضباط الطيران الفرنسي أثناء مراقبتهم لامتداد سحابة رڤان ووصولها إلى غاية الحدود الليبية، وقد تم اللقاء بين ضباط الطيران الفرنسي وضباط الطيران الامريكي وجها لوجه والمتواجد على الحدود الليبية والمكلفين بنفس المهمة. [14]

أي أن الأجهزة الأمريكية كانت على علم بالتفجير وكانت تراقب مداه، وإذا كانت العملية تمت على الحدود الغربية ووصلت سحابتها إلى الحدود الشرقية للصحراء الجزائرية فذلك يعني أن عملية التلوث الإشعاعي عم كل تلك المنطقة التي تقاس بآلاف الكيلومترات المربعة.

- في مجال تلوث البيئة في هذه المناطق تم ملاحظة الآتي:

- قضت تلك التفجيرات على الخيرات الطبيعية المتنوعة التي تتميز بها رڤان حيث مست: زراعة الحبوب- النخيل الذي هو مصدر عيش أهل المنطقة والذي أصيب بمرض جديد هو (البيوض الذري).

[14]- نفسه، ص 196.

- أصيبت الخضراوات التي كانت تغرس تحت جذوع النخل مما يحتاجه أهل المنطقة في عيشهم وغذائهم النباتي كالخضراوات والحنطة.

- أتلف المنتوج الزراعي الذي صادف التفجير كله.

أما عن امتداده خارج الحدود الجزائرية فقد تمت ملاحظة الآتي:

- في عشية يوم 17 فبراير 1960 تساقطت أمطار سوداء على منطقة (فاغو) جنوب البرتغال، خلفت رعبا في وسط السكان.

- وفي عشية نفس اليوم كذلك تساقطت أمطار في اليابان استمرت إلى غاية الليل تحمل اشعاعات نووية غير عادية.

إن تأثير الانفجار على المنطقة التي يتم فيها يكون قويا حيث تنعدم الحياة في المساحة التي يتم فيها ويقدرها علماء الذرة والأحياء بـ 1200 م^2 يتغير شكلها ولونها.[15]

لقد أدى ذلك التفجير إلى انتشار أمراض مميتة ناجمة عن الاشعاع في المنطقة حولت بنيتها من حالة حياة إلى حالة ضارة وهالكة، حيث أدت إلى انخفاض الثروة الحيوانية وكذلك التنوع الاحيائي، واختفاء عدد من الزواحف والطيور المهاجرة والعابرة والمتوطئة. لأن انفتاح الأقاليم الصحراوية على جميع الاتجاهات يجعل من انتقال الكائنات الحية من وإلى المناطق الملوثة إشعاعيا ممكنا وكذلك انتقال وتسرب المواد المشعة إلى مساحات واسعة وإلى المياه السطحية والجوفية ممكنا كذلك.[16]

لأن الكائن الطائر لا يمكن التحكم فيه لا سيما العابر والمهاجر فإنه ينقل معه حيثما حل وارتحل أجزاء من الاشعاع يصيب بها المكان الذي يقصده (كما نشاهد اليوم مشكلة أنفلونزة الطيور التي أحدث حالة استنفار في كل بلدان العالم) لأن الإنسان يتحكم شيئا ما فيما يمكت في الأرض أما ما يطير في السماء من مخلوقات ورياح لا يمكن التحكم فيها أو ايقافها.

[15]- المرجع نفسه، ص ص: 28- 29- و60

[16]- نفسه، ص 93

أما بالنسبة للتربة:

إن عملية التفجير الذري كما تؤثر على البيئة عموما فإن تأثيرها على التربة يكون بشكل خاص لكونها مشكل أساسي للمحيط البيئي، فتؤدي إلى تغيرات مناخية والتي بدورها تؤدي إلى تغيرات في حركة الكثبان الرملية التي تديرها الرياح والعواصف الصحراوية في المناطق التي عانت من عوامل التعرية المناخية بواسطة ظاهرة العصف الذري.

حيث يكون المكان الذي تمت فيه العملية ومحيطه، ولمدة ملايين السنيين مصدر اشعاع تتأثر فيه الكائنات الحية لمدة ملايين السنيين بأشعة غاما والنترونات ونواتج الانشطار. [17]

أما تأثيره على النبات:

تتميز الأضرار في هذا الجانب بتدهور الغطاء النباتي وكذلك الواحات وخاصة أشجار النخيل، حيث يتم انخفاض انتاج المحاصيل الحقلية وظهور سلالات خضرية ضعيفة الانتاج والمقاومة تجاه الأمراض النباتية والحشرات والفطريات والكائنات الدقيقة. [18]

لاسيما وأن منطقة رڤان هي واحات صحراوية تعتمد أساسا في عيشها على الزراعة مع حيواناتها، التي تعد الحشائش غذائها الأساسي. ولذلك فالتأثير على النبات يمس الإنسان والحيوان معا.

لقد رأينا كيف وصلت البحوث العلمية المختصة في الإشعاع الذري ومخاطرة على الإنسان والبيئة، وكيف يصل مداه إلى ما توصله إليه الرياح وعوامل الطبيعة وتغيراتها المناخية، فهو بذلك يصيب القريب والبعيد، ويصل بالكيل إلى ما يزيد عن الألف ميل.

أما إذا تمعنا في اختيار تاريخ التفجير والذي تم في شهري فبراير وأفريل وفي هذه الفترة التي تعد نهاية فصل الشتاء ووسط الربيع فإنها تتميز هذه الفترة بالذات

[17]- نفسه، ص ص 93 و60.
[18]- المرجع نفسه، ص 93.

في الصحراء بكثرة الرياح التي تصل في بعض الأحيان إلى حد العواصف الرملية التي تنعدم فيها الرؤية وتصل سرعة الريح فيها أحيانا إلى مئات الكلمترات في الساعة. لأن الفصل الفلاحي في هذه الأوقات يعد موسم التلقيح أي تذكير النخيل وغيرها من الأشجار المتميزة لقوله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح)* فمنطقة الواحات يعد هذا التوقيت فيها توقيت تلقيح النخيل، فتكثر فيه الرياح.

لذلك فإن اختيار هذا الوقت إما عن جهل بالطبيعة وبالمنطقة وتغيراتها المناخية أو عن قصد للنظر إلى مدى امتداد السحابة الذرية وإمكانية ووصولها وانتشارها لحسابات عسكرية مستقبلية وهو ما بينته عملية المراقبة التي تمت ومتابعتها إلى غاية الحدود الليبية في تلك المهمة التي أوكلت إلى سلاح الطيران والتي تمت الإشارة إليه سابقا.

إن الأخطار الناجمة من السلاح الذري تمتد بعد التفجير إلى مدا بعيد يصل إلى ملايين السنيين كما أثبت العلماء والمخابر العلمية المتخصصة، ويمكن التحذير من أماكنها والمناطق المشعة بوضعها في خريطة مثبتة بإيضاحات علمية كوقاية للإنسان كما هو الحال بالنسبة لحقول الألغام بعد نهاية الحروب حتى لا تستمر تلك الحرب في الظاهر السلمي بحصد العباد والمزيد من زرع الموت للأرض والإنسان معا. لأن الأرض الميتة هي تلك الارض المحرم استعمالها واستغلالها من طرف المخلوقات الحية، لذلك تمييزها وتعريف الآخرين بها يعد أمرا ضروريا على المعتدي القيام وتعريف صاحب الحق بما يجب أن يعرفه حتى يضمن مستقبله ويتفادى مخاطره وأضراره.

لكن فرنسا مارست وبإصرار سياسة التعتيم المعتمد على عمليات التفجير الذري السطحي والباطني في منطقتي رڤان واين ايكر، خاصة التجارب الأولى، حيث تسترت على الأعداد الحقيقية للضحايا وسير التجارب. وماديات الطاقات التفجيرية، وكميات النفايات التي خلفتها تجارب التفجيرات النووية وعمليات

*- سورة الحجر من الآية 22.

دفن النفايات المشعة كما سيأتي الحديث عنها، وأخفت وحجمت الاحصائيات المتعلقة بالموضوع.

ومنعت النشر العلمي الموضوعي لضمان استمرار إخفاء ومنع المعلومات التي يحتاجها البحث العلمي لمتابعة تغيرات البيئة وتقدير الأضرار الحقيقة والمستقبلية التي تواجهها المنطقة ومكوناتها الحيوية. [19]

إن منطقتي رڤان واين ايكر أصبحتا بعد العمليات الـ (17) التفجيرية التي أجرتها فرنسا في الصحراء الجزائرية، موضعا للنفايات المشعة، حيث دفنت بها كل الآلات التي استعملت واستخدمت في التفجير.

ومازالت تجهل التفاصيل التقنية لأسلوب دفن النفايات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية نظرا لسياسة التعتيم التي فرضتها الحكومة الفرنسية على هذا الموضوع كما تمت الإشارة إليه.

كما أن العملية تمت في وقت لم تتطور فيه بعد الوسائل الناجمة لمعالجة تلك النفايات في ذلك الوقت كما هو معمول الآن بأسلوب ووسائل جدا متطورة ومدروسة من جميع الجوانب وتخضع لرقابة دولية.

ويؤكد الشهود الذين عاشوا الحدث وعاينوا العملية أنه في رڤان تم حفر العديد من الانفاق، وجلبت الجرافات ودفنت فيها الكثير من المواد المستخدمة في التجارب.

والشيء نفسه وقع في الهجار الذي كانت التجارب فيه باطنية والتي تمت فيها بعد التجربة دفن الأدوات. وترك بعضها في العراء كما تم بعد مغادرتهم المنطقة حيث تركوا ادوات وخيام وأوان ملوثة، التي تسابق السكان إلى غنمها وتقاسمها وكانت مشبعة بالأشعة مما تسبب في انتشار أمراض خطيرة فيما بينهم أودت بحياة الكثير منهم، وحسب شهادة شهود وعيان.

[19]- كاظم العبودي: التجارب النووية الفرنسية في الجزائر ومخاطر التلوث- مجلة المصادر، العدد الأول، سنة 1999، ص 183.

لقد واصلت فرنسا لتجاربها النووية في الصحراء الجزائرية في منطقتي رڤان واين ايكر والتي بلغت في مجموعها 17 تجربة تفجيرية 4 سطحية في رڤان و13 باطنية في اين ايكر بتمنراست انطلاقا من قناعتها بأن الصحراء أرضها وامتداد اقليميا لها فهي صالحة ودائمة لتجاربها الذرية دون مراعاة بأن للصرخات العالمية الداعية لإيقاف تلك التجارب اجتنابا لما لها من مخاطر على البيئة والحياة الإنسانية.

وقد تمت تلك التجارب على النحو الآتي

أ- التجارب السطحية برڤان وسميت باليربوع وهو مخلوق صغير يعيش في الصحراء لكنها أعطت ألوان رموزها الوطنية، وبدأت باللون الأزرق رمزا للتعاون المشترك الفرنسي الاسرائيلي في هذا المجال والذي يرمز إلى سيادة البلدين.

ثم- اللون الأبيض، ومن بعده الأحمر، ثم الأخضر وفقا للجدول الآتي:

1- اليربوع الأزرق ———— في 13 فبراير 1960

2- اليربوع الأبيض ———— في 01 أفريل 1960

3- اليربوع الأحمر ———— في 27 أفريل 1960

4- اليربوع الأخضر ———— في 25 أفريل 1961

ب- التجارب الباطنية:

تم هذا النوع من التفجير في باطن الجبل بإين ايكر، تعود اهمامات فرنسا بمنطقة الهجار إلى سنة 1954 حيث أقامت بها أولى المحطات للأبحاث المنجمية يرأسها مجموعة من المنقبين، وذلك بحثا عن النفط والمعادن الأخرى.

وخلال السنوات 1959 إلى 1961 أنشء بها مركز الدراسات النووية للبحث وأصبحت اين ايكر هي المركز وجهزت بمختلف المرافق. حيث أنه في خلال تلك الفترة الزمنية من البحث واختيار الموقع بعد اقرار عملية التفجير بالمنطقة والاتفاق على أن تكون باطنية اختير لها جبل اين ايكر، وهو مكان

استراتيجي هام لمثل تلك التجارب ويقع في محيط 40 كلم يمتاز بصلابة صخوره بحيث يصلح لمثل تلك التجارب.[20]

أجريت في ذلك الجبل 13 تجربة تفجير ذري باطني، أدت إحداها إلى مقتل 39 مواطنا من المنطقة أي السكان الطوارق- ووصلت سحابة التفجير وهي محملة بالإشعاع الذري إلى حدود ليبيا كما حدث في التجربة الاولى برڤان. ولوثت بالمنطقة ما لا يقل عن 365 هكتارا [21] من الواحات التي أصبحت أرض ميتة وقاتلة لما تحمله من نشاط اشعاعي.

ونبين في هذا الجدول التجارب الباطنية الـ 13 والتي تمت كلها بالمنطقة واستغرقت من سنة 1961 إلى سنة 1966 أي أربع سنوات بعد الاستقلال وفقا لاتفاقيات خاصة.

على الشكل الآتي:

اسم التفجير	المكان	التاريخ
1- أغات	ابن ايكر	07 نوفمبر 1961
2- بريل زمزد مصري	// //	01 ماي 1962
3- ايرود زمرد	// //	18 مارس 1962 بيوم واحد قبل توقيف القتال
4- ايمتيست جمز	// //	30 مارس 1963
5- روبي يقوت احمر	// //	20 أكتوبر 1963
6- أوبال عين الهر	// //	14 فبراير 1964
7- توباز يقوت أصفر	// //	15 جوان 1964
8- توركواز فيروز	// //	28 نوفمبر 1964
9- سافيريقوت أصفر	// //	27 فبراير 1965
10- جاد ريشب	// //	30 جوان 1965
11- كوغيندون قرند	// //	01 أكتوبر 1965
12- تورمالين حجر كهربائي	// //	01 ديسمبر 1965
13- قرونا بيجادي	// //	16 فبراير 1966

[20]- مركز الدراسات والبحث: المرجع السابق ص، ص: 32 و86.
[21]- المرجع نفسه، ص 47.

كانت آخر عملية تفجيرية قامت بها فرنسا في الصحراء الجزائرية سنة 1966 وبعدها تركت آلاتها وأدواتها التي استعملتها في تلك التجربة وغيرها على العراء وما زالت حسب شهود العيان ماثلة للعيان تحمل معها الموت على الدوام لقد قدر علماء الذرة الطاقة النووية التي فجرت في التجارب الفرنسية الـ 17 في الصحراء الجزائرية والتي أشرنا إليها أعلاه في مجملها بـ 500 كلطن كما يلي: 130 كلطن في التفجيرات السطحية الأربعة برقان و370 كلطن في التفجيرات الباطنية بإين ايكر [22] وهو ما يعادل 50 مرة قنبلة هيروشيما الأمريكية.

تلك نظرة وجيزة شاملة عن آثار الاستعمار على الإنسان والبيئة بالجزائر جراء الاحتلال الاستيطاني الفرنسي للجزائر مدته 132 سنة من تدمير الإنسان وتشويه وتخريب للبيئة التي ما تزال آثارها شاهدة وقاتلة إلى يومنا هذا من ألغام وإشعاع نووي.

[22]- نفسه، ص 47